بُنيات الخطاب ومحتوياته-قراءة في كتاب "من نافذة القطار" للدكتور عبد اللّه الطيب

A Reading of The Discourse structures and contents in the book "Min Nafidhat Elqitar" by Dr. Abdullah Al-Tayeb

إعداد

الدكتور /عادل عثمان الهادي محمد

الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية - كلية الآداب – جامعة الملك فيصل- المملكة العربية السعودية

Preparation

Dr. Adel Othman Al-Hadi Muhammad

Associate Professor, Department of Arabic Language, College of Arts, King Faisal University, Kingdom of Saudi Arabia

المستخلص:

الأهداف: يهدف البحث التعريف بمحتوى الكتاب وطرائق المؤلف في الجمع بين موضوعاته وأجناسه الأدبية المتعددة، والتي ربط بينها ربطا محكما أعانه على ذلك حصيلته الثقافية الموسوعية المتنوعة المشارب.

أهمية الدراسة: تأتي أهمية هذه الدراسة من كونها تتناول كتابا مهما يعد باكورة انتاج أدبي لعلم من أعلام الفكر والثقافة والعلم في العصر الحديث هو كتاب " من نافذة القطار" للأستاذ الدكتور عبد الله الطيب والذي جمع بين المحافظة والمعاصرة في مؤلفاته.

المنهجية: اتبع البحث منهج الاستقراء والتحليل للأجناس الأدبية المصاحبة لسيرة الكاتب في هذا الكتاب ،كما حرص البحث على إلقاء الضوء على مكونات الخطاب وما اشتمل عليه من أجناس أدبية عدة، فكانت حصيلة كل ذلك سيرة ذاتية متفردة في العديد من نواحيها .

النتائج: وقد توصلت الدراسة لعدة نتائج من أهمها قدرة الكاتب على الإمساك بخيوط النسيج الجامع بين تلك الموضوعات المختلفة مستعينا بعدة أدوات أهمها التناص بنوعيه المباشر وغير المباشر، إلى جانب قدرته على نسج الحكاية الواصفة جامعا فيها بين الوصف والحكاية وقد يتخلل كل ذلك حديث ساخر أو طرفة أدبية أو اجتماعية أو شعبية. ومنها تصنيف الكتاب في السيرة الذاتية، وقد اجاد في كتابه الربط بين المرئي والتاريخي والمتخيل.

الخلاصة: خلصت الدراسة إلى الوقوف على ضرب متفرد من السيرة الذاتية المنفتحة، كما ظهر بوضوح تأثر الكاتب بأبي العلاء المعري خاصة في كتابه رسالة الغفران استخدامه الرمز والإيماء إلى جانب ميله للنقد الأدبي والاجتماعي والديني، كما ظهر تأثره بالجاحظ في ميله للاستطراد.

الكلمات المفتاحية: الأجناس الأدبية، التناص المباشر وغير المباشر، الحكاية الواصفة، السخرية

Abstract

Objectives: The research aimed is to introduce the content of the book and the author's methods in combining between the subjects and the multiple literary genres, which the author is tightly linked them using his diverse encyclopedic cultural collection.

The importance of the study: The importance of this study comes from the fact that it deals with an important book that is considered the first literary production of one of the most prominent scholars of thought, culture and science in the modern era.

Methodology: The research followed the induction and analysis method of the literary genres accompanying the biography of the author in this book.

Results: The study reached several results, the most important of which is the writer's ability to control the overarching sides together between these different topics, using several tools, the most important of which is direct and indirect intertextuality, as well as his ability to weave the descriptive story, combining description and anecdote. Literary, social or popular. Including the classification of the book in the autobiographical, and in his book he mastered the link between the visual, the historical and the imaginary.

Conclusion: The study concluded to identify a unique type of open-minded autobiography, as it was clearly shown that the writer was influenced by Abu Al-Ala Al-Maari, especially in his book Risalat Al-Ghufran, in terms of his tendency to digression and his use of symbols and gestures, as well as his tendency to literary, social and religious criticism.

Keywords: literary genres, direct and indirect intertextuality, descriptive story, irony

المقدمة:

تتناول هذه الدراسة كتابا مهما يُعدّ باكورة الإنتاج الأدبي للعلامة الدكتور عبد الله الطيب، وقد أخذ عنوانه "من نافذة القطار" من تجربة حقيقية عايشها الكاتب في رحلة طويلة امتدت من الخرطوم إلى لندن استقل القطار في جزء كبير منها، وأتاح له ذلك من حيث الوسيلة وامتداد الوقت النظر والتأمل وامتداد الفكر في الحاضر والماضي، تبع ذلك استرجاع الذكريات والمقارنة بين ثقافات الشعوب وعاداتها في الشرق والغرب. وجاء الكتاب موسوعيا متنوع المحاور يمثل جزءاً أول من سيرة الكاتب الذاتية لتكتمل فيما بعد في كتابه الآخر "من حقيبة الذكريات". الكتاب يمثل ضربا من السيرة الذاتية المنفتحة على أجناس أدبية عدة إلى جانب قضايا نقدية وأدبية واجتماعية وتاريخية.

بدا تأثر الكاتب بأبي العلاء المعري واضحا في الكتاب يشابهه في الأسلوب والعرض خاصة في كتاب المعري "رسالة الغفران" رغم اختلاف موضوعي الكتابين. وقد استعان الكاتب بالتناص والاستطراد للربط بين تلك القضايا المختلفة، أعانه على ذلك ثقافةٌ واسعةٌ ومتنوعةٌ واطلاعٌ واسعٌ على الآداب العربية والغربية إضافة لإلمامه بالعادات والطقوس الشعبية في بلاده.

تكمن أهمية الدراسة في تسليطها الضوء على كتابٍ مهمٍّ لكاتبٍ علمٍ يُعــدّ في طليعة علماء العربية في العصر الحديث، وأشهر مؤلفاته هو كتاب" المرشد إلى فهــم أشعار العرب وصناعتها"، وقد تناولت الدراسة كتابه "من نافذة القطار" مبينةً محتواه وأبرز عناصر تشكيل الخطاب التي بُني عليها ممثلةً في تداخل الأجناس الأدبية والتناص بنوعيه المباشر وغير المباشر وميله للحكاية الواصفة في أسلوبه السردي، إلى جانــب مقدرة الكاتب في توظيف الموروث الأدبي والشعبي.

فكرة البحث وأهميته:

تمثلت فكرة البحث في التعرف على تجربة العلّامة الدكتور عبد الله الطيــب في واحدٍ من بواكير مؤلفاته هو كتاب "من نافذة القطار" الذي يجمع أشتاتا مــن القضايا والموضوعات منها الأدبي والتاريخي والمعاصر للفترة التي كتب فيها، وهــي منتصف القرن العشرين إبان وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، ويعدّ الكتاب من كتب السيرة الذاتية المنفتحة على عدة موضوعات وأجناس أدبية أخرى، وحــرص البحث أن يتناول عدة تساؤلاتٍ تمثّل لب البحث ويسعى للإجابة عنها وهي:

- ما محتوى الكتاب؟ وما أهم عناصر تشكيل الخطاب فيه؟
- في أي الأجناس الأدبية يصنف الكتاب؟
- ما القيمة الأدبية والنقدية والتاريخية للكتاب؟
- هل الآراء النقدية الجادة والساخرة المبثوثة في ثنايا الكتاب لهــا قيمتــها المعرفيــة والعلمية المتماشية مع مستجدات الدرس الأدبي؟

تعريف بالكتاب:

يُصنَّف كتاب من "نافذة القطار" في كتب السيرة الذاتية المنفتحة، ويعدّ من باكورة الإنتاج الأدبي للعلامة الدكتور عبد الله الطيب، وهو يمثل الجزء الأول من سيرته الذاتية لتكتمل حلقاتها في كتابه الآخر (من حقيبة الذكريات) وقد اشتمل الكتاب على ذكرياته أيام الطفولة والصبا وجزء كبير من فترة الشباب، حيث ابتعث مع مجموعة من زملائه للدراسة بمعهد الدراسات الشرقية في جامعة لندن، فاتخذ من هذه الرحلة منطلقا لتدوين صفحاتٍ من سيرته الذاتية مركِّزا على رحلته التي استغل فيها القطار من الخرطوم إلى القاهرة ومن ثم إلى الأسكندرية حيث استغل الباخرة وصولا إلى بريطانيا، وضمَّن الكتاب عِدَّة أجناسٍ أدبيةٍ جمع بينها بربطٍ ونسجٍ محكمٍ.

تعريف بالكاتب: البروفسور عبد الله الطيب المجذوب الأديب والعلامة السوداني المعروف ولد بقرية التميران غربي الدامر في ٢٥ رمضان ١٣٣٩ هـ – الموافق ٢ يونيو ١٩٢١م. توفي في ١٩ ربيع ثاني ١٤٢٤ هـ الموافق ١٩ يونيو ٢٠٠٣م. وهو عبد الله الطيب ابن محمد بن أحمد بن محمد المجذوب. تعلم بمدارس كسلا (مدينة بشرقي السودان)و الدامر (بلدة الكاتب وبها ميلاده تقع عند ملتقى نهر عطبرة بنهر النيل في الجهة الجنوبية مجاورة لمدينة أتبرا) ودرس ببربر(إحدى المدن العريقة بشمالي السودان) وكلية غوردون التذكارية بالخرطوم والمدارس العليا ومعهد التربية ببخت الرضا وجامعة لندن بكلية التربية ومعهد الدراسات الشرقية والأفريقية. نال الدكتوراه من جامعة لندن (SOAS) سنة ١٩٥٠م. عمل بالتدريس بأم درمان الأهلية وكلية غوردون التذكارية ومعهد اعداد المعلمين ببخت الرضاء والذي أصبح جامعة بخت الرضا فيما بعد، كما عمل بجامعة الخرطوم ردحا من الزمن. تولّى عمادة كلية الآداب بجامعة الخرطوم (١٩٦١ – ١٩٧٤م) كان مديراً لجامعة الخرطوم (١٩٧٤ – ١٩٧٥م). وهو أول مدير لجامعة جوبا (١٩٧٥ – ١٩٧٦م). أسس كلية بايرو بكانو "نيجيريا"، وهي الآن جامعة مكتملة. حصل البروفيسر عبد

الله الطيب على جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب عام ٢٠٠٠ م. وتوفي عام ٢٠٠٣م رحمه الله. وله عدة مؤلفات وعدة دواوين شعرية منها أغاني الأصيل وأصداء النيل وبانات راما، ومن أشهر مؤلفاته المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها في أربعة أجزاء، وكتاب الحماسة الصغرى، والتماسة عزاء بين الشعراء ، وحتام الفتنة بإليوت، وله كتاب من حقيبة الذكريات وهو الجزء المتمِّم لسيرته الذاتي مع الكتاب موضوع دراستنا" من نافذة القطار" وله كتاب الأحاجي السودانية، وكان عضوا فاعلا في المجمع العلمي بالقاهرة وعضوا فاعلا في عدة مراكز علمية في عدة دول أوربية ودول عربية.

☐ محتوى الكتاب:

كتاب "من نافذة القطار" في صورته العامة أقرب إلى السيرة الذاتية المنفتحة والقائمة على الخواطر القصصية المعبّرة عن فترةٍ زمنيةٍ تمثّل فترة طفولة الكاتب وصباه وجزءاً من شبابه أوان ابتعاثه للدراسة بإنجلترا منتصف القرن الماضي. وقد ربط كل ذلك بقضايا تاريخيةٍ وآنيةٍ اجتماعيةٍ وأدبيةٍ ونقديةٍ ودينيةٍ، وقد جمع الكاتب بين شتات تلك الموضوعات على اختلافها بقدرةٍ فائقةٍ على النسج الحكائي والوصفي؛ معتمدا على قدرته في تفصيل الحكايات الواصفة، إلى جانب ملكته في الاستطراد، وقد أعانه على ذلك مخزونٌ معرفيٌّ وثقافيٌّ عميقٌ متنوع المشارب، ضارب بجذوره في عمق الموروث العربي ومتنوع الاطلاع على مستجدات المعارف والآداب القديمة والمعاصرة، كما أنَّ الكاتب كان واسع الاطلاع على ما أُلِّف بالإنجليزية وواسع الاطلاع على الآداب الغربية عامة، حتى إنك لتجد عسرا في الظاهر لتعرف الرابط بين الموضوعات التي يعرض لها في الموضع الواحد.

تأثُّر الكاتب بأبي العلاء المعري في هذا الكتاب يكاد ينطق به كل سطرٍ من أسطره وكل صفحةٍ من صفحاته، يشبه أبا العلاء في قدرته على الربط بين الأحداث والمواقف مهما تباعدت في الظاهر، ويشبهه أيضا في الانتقال من الجدّ إلى السخرية

والهزل والفكاهة في الموضع الواحد، كما يشبهه في الرمز والإيماء الذي يأخذ صورة من صور التناص الظاهر والخفي، والذي سنفرد له مبحثا خاصا في هذه الدراسة بشكليه المباشر وغير المباشر، كما يشبهه في نقده الساخر المتّسم بالعمق والربط الدقيق بين الحدث وما يمتّ له بصلةٍ.

اشتمل الكتاب في كثير من صفحاته على نقدٍ ينمّ عن خبرةٍ واسعةٍ وأفقٍ معرفيٍّ متنوعٍ، وقد تعددت أشكاله بين نقدٍ اجتماعيٍّ ونقدٍ أدبي، ونقدٍ دينيٍّ وفكريٍّ ومذهبيّ، وقد يتعرّض للطقوس الدينية الشعبية في محيطه وبيئته التي نشأ فيها خاصةً دون أن يتدخل في الجزم بصحتها أو الحكم عليها. وهو كثيرا ما يعرض للطقوس الاعتقادية والممارسات الشعبية في بيئته وما حولها في شرقي أو شمالي السودان خاصة، يتناول ذلك بقدر كبير من التوثيق والتفصيل دون أن يتدخل في الحكم عليها بصحتها أو بطلانها كما ذكرنا.

كما أنّ الكتاب في جملته يمثل منحى في السيرة الذاتية المتشعبة ذات المنحى القصصي، وفي الكتاب ربطٌ دقيقٌ ومقارناتٌ بين الحياة والطبائع والعادات والممارسات بين الشرق والغرب في منتصف القرن الماضي أوان تأليفه، يتجلى ذلك من خلال الوصف الدقيق للعادات الاجتماعية وعادات الطعام واللباس، ويتعدى ذلك لعادات الشعائر الدينية عند أهل الملة الواحدة في الشرق والغرب سواء أكانوا مسلمين أو نصارى يصف عاداتهم التعبدية بشيء من التفصيل، وهو وصف يتخلله نقدٌ ساخرٌ يتمدد في أغلب صفحات الكتاب. في الكتاب أيضا نقدٌ لطرق التدريس هنا وهناك خاصة في مراحل التأسيس الأولية في المدارس ناتج عن تجربة وممارسة للعمل التدريسي، ونقد للسلوك الاجتماعي الفردي والجمعي[1]. (الطيب، عبد الله ١٠)

الاستطراد كان هو الأداة المفضلة للكاتب وقد أعانه على ذلك قدرته على الربط الدقيق والوثيق بين عدة قضايا قد تبدو متباعدة في ظاهرها، أعانه على ذلك

عدة عوامل منها: سعة وعمق وتنوع مشاربه الثقافية والمعرفية، ومعرفته الدقيقة بالتراث وتاريخ الشعوب، ومعرفته العميقة بالتراث السوداني عامة والتراث الشعبي في بيئته التي نشأ فيها، بأمثاله وقصصه وحكاياته وخرافاته، خاصة تراث الشريط النيلي ومنطقة الجعليين[٢] (الطيب، عبد الله، ٢)، والجعليون أحدى القابئل ذات الأصول العربية بالسودان وإليها ينتسب الكاتب، ومنطقة (الدامر[٣]) (الطيب عبد الله ،٣) على وجه الخصوص، إضافة للبيئات التي تنقل فيها في صغره مع أبيه مثل (كَسَلا) (الطيب، عبد الله ،٤) و(مُقْرَات)[٤]، وهي جزيرة على النيل شمالي السودان معروفة بجمالها وتنوع مناخها (الطيب، عبد الله ،٥)[٥] حيث كان يعمل والده معلما وتنقل معه في عدة جهات من أرض السودان، وأعانه على ذلك ذكاء فطري لّماح ودقة ملاحظة وملكة في الحفظ و قدرة على تحليل المواقف في لمحات لا تخلو كثيرا من السخرية الماتعة.

التناص كان حاضرا بقوة في أغلب محتوى الكتاب، وكان عاملا مهما في الربط بين أشتات القضايا المختلفة التي عرض لها الكاتب، هناك التناص الديني والتاريخي والتناص مع الأمثال الشعبية والشعر الفصيح، والتناص مع الروايات والقصص الشعبيةِ. وهناك تناص مع نصوص من الأدب الإنجليزي.

عرض الكاتب كثيرا للحديث عن اعتقادات أهل عصره ومنطقته خاصة وتحدث عن تعلقهم بالأولياء والصالحين إنْ بالحق أو بطقوس باطلة أحيانا، ووصف البيانات التي يقيمها أهل تلك المناطق للصالحين نتيجة اعتقادهم فيهم، يعني بـ (بالبيانات) مقابر ومراقد اشبه بالوهم منها من الحقيقة، حيث يذكر أحدهم أنه رأى الولي فلان في منامه في مكان كذا فيخبر الناس ويجعلون له بيانا في ذلك الموضع يُزار وقد تُحلق عنده رؤوس الصبيان(الطيب، عبد الله،٦)[٦]، ويصف تلك الطقوس الاعتقادية المصاحبة لتلك الزيارات بقدر كبير ودقيق من التوثيق دون أن يتدخل في الحكم عليها من حيث الصحة أو ما فيها من مخالفة للصواب.

الكتاب في جملته أقرب للسيرة الذاتية ذات المنحى القصصي المنفتح على موضوعات شتى، وقد بدا تأثره بأبي العلاء المعري واضحا في أسلوبه وطريقة عرضه وربطه بين الموضوعات وخلوصه من خلال ذلك لنقد قاس أحيانا، وقد التبس النقد بالسخرية في كثير من مواضع الكتاب(الطيب، عبد الله ،٧)[٧].

من حيث التسلسل في قائمة مؤلفات الأستاذ الدكتور عبد الله الطيب يُعدّ كتاب "من نافذة القطار" من باكورة انتاجه إذ خط أولى صفحاته في العام ١٩٤٥م وأكمله في سنوات قلائل بعدها لعلها امتداد سنوات دراسته بإنجلترا، وقد اشتمل على عديد من الخواطر والذكريات والانطباعات العجلى والتي تتكامل لتشكل صورةً للسيرة الذاتية المجنحة والمرتبطة بتجارب حياتيةٍ مختلفةٍ وفي بيئاتٍ شتى.

الكتاب في كثيرٍ من صفحاته يصوِّر تجربة المؤلف الأولى في معايشة المجتمعات الجديدة التي انتقل إليها والمختلفة عن بيئته من حيث التكوين والعادات والطبائع، رغم أنه قد عايش مزاج وطباع الرجل الأبيض في بلاده، إذ لم يغادر الإنجليز وطنه حتى ذلك التاريخ، وكذلك بحكم دراسته وعمل والده في المدارس التي يشغل الرجل الأبيض فيها وظيفة التدريس أحيانا ووظيفة التفتيش والإدارة أحيانا أخرى، إذ كانت نظم الإدارة والتعليم أشبه بالنظام البريطاني في بلاده. وتنقل مع والده في مناطق عديدة في بلاده إلى جانب دراسته في كلية غردون[٨] على أيدي أساتذة بريطانيين وفي معهد إعداد المعلمين حينها ببخت الرضا والذي ارتقى إلى جامعة بخت الرضا في السنوات الأخيرة. لذا يمكن عدّ هذا الكتاب هو الجزء الأول من سيرته الذاتية إذ تكتمل حلقاتها في كتابه الآخر من حقيبة الذكريات.

انفتح الخطاب في هذا الكتاب "من نافذة القطار" على عِدّة أجناسٍ أدبيةٍ وعدة أزمنةٍ وأمكنةٍ استدعاها الكاتب من مخزون ثقافته وذاكرته المتنوعة المعارف، حيث تجده في الفقرة الواحدة يربط بين مقولاتٍ فصيحةٍ موغلةٍ في قدمها ومصدرها، وقد تكون من الشعر القديم ويربطها بمقولةٍ من صميم عامية أهل

السودان في حياتهم اليومية عن طريق التناص، وقد لا يعرفها الجيل الحديث من أبناء بلده فتحتاج لشرح وبيان، وأحيانا يكون التناص (التعالق النصي) هو الذي يستدعي تلك العبارة مع نظيرتها. ومن أمثلة ذلك قوله: "وجاءهما سفرجي قصير دحداح ذو وجه كرغيفة!!

ـــ عندنا رز بكبد الفراخ! كأنها قذيفة مدفع " الكَرْسَة"!! (تعجّب أي الحَربَة، أو الرمح القصير)

ـــ يا جدي عبد الماجد ود حمد (وهو جد الغبش في طبقات ود ضيف الله[٩] رضي الله عنه).(الطيب، عبد الله،[١٠] ٨)

وأحيانا تكون تلك المقولات التي يستدعيها الكاتب عن طريق تضافر النصوص على ألسنة بعض شخوص الكتاب أو على لسان الراوي نفسه والأخير هو الغالب، فالكتاب أشبه بتداعي الأفكار وتدفق الذكريات الشيء الذي أنتج سيرةً ذاتيةً متفردةً، حيث جاء الكتاب في محتواه أشبه بدفقٍ لتيارات عدة من المخزون الثقافي والفكري والعلمي، ونتج عنه عدة سماتٍ ومحاورَ بارزةٍ شكلت صورة الخطاب ويمكن أن نصفه من خلالها وهي:

أولاـ تداخل الأجناس الأدبية:

التداخل الأجناسي يُعدّ من أبرز ما يميز الكتاب، وهو بهذا يتّسق مع كثير من المؤلفات في أدبنا العربي قديمه(النجدي، علي ،٩)[١١] وحديثّه (الحربي، فائزة،١٠)[١٢]، فقد تداخل الشعري والسردي منذ عهد امريء القيس، وكُتب الجاحظ جمعت بين السردي والشعري(الكعبي، ضياء ،١١)[١٣] والحكم والأمثال والخطب وعلوم القرآن والحديث والبلاغة، ودونك المقامات فقد جمعت بين الوصفي والحكائي والشعري. كما برزت ظاهرة تداخل الرواية بالسيرة الذاتية والغيرية لدرجة أن هناك أعمالاً روائية لا تعدو أن تكون سيرة ذاتية لأصحابها(علقم، صبيحة،١٢)[١٤] .وقد برزت هذه الظاهرة بوضوح في هذا الكتاب" من نافذة

القطار" ففيه تداخل بين السيرة الذاتية وعدة أجناس أدبية أخرى، إذ تلمح فيه تداخلاً مع السيرة الشعبية والتاريخ الأسطوري والواقعي وتداخلاً مع النقد الأدبي ومعتقدات الشعوب وغير ذلك. وقد كان لثقافة الكاتب الواسعة والعميقة والمتنوعة دورٌ كبيرٌ مكّنه من الربط بين تلك الأجناس الأدبية دونما تنافر أو تعارض وإنما ربط بينها بوشائج غاية في البراعة والإحكام، وقد كان التناص والاستطراد من أهم الأدوات الفاعلة في الربط بين تلك القضايا والأجناس الأدبية.

ونتيجة لتداخل الأجناس الأدبية في الكتاب تبرز إشكالية تصنيفه، فهو في سرده ووصفه يأخذك لجانب القصة، ولكنه من ناحية التوثيق التاريخي والمزج بين الواقعي والتخييلي تجده إلى السيرة الذاتية أقرب وبها أشبه، هذا إلى جانب اشتماله على العديد من الروايات والحكايات التاريخية والأسطورية والشعبية، والتي يستدعيها الكاتب في موضع النقد الساخر أو إظهار المفارقة أحيانا. وفي ظنّي أن تأثره الشديد بأسلوب أبي العلاء المعري وأدبه هو الذي قاده لذلك المنحى في تشكيل الخطاب، ففيه الجدّ والهزل وفيه الفصيح والعامي وفيه النقد بشتى أنواعه شأن أبي العلاء في رسالة الغفران خاصّة. ومن أمثلة ذلك ما حكاه عن قصة الملابس المعدّة من قِبَله ورفاقه لتناسب البرد القادم في إنجلترا، وهم يزورونها لأول مرةٍ، فيروي على لسان أحدهم ممن قابلوهم في محطة القطار بالخرطوم وهم يهمُّون بالسفر، وفي أسلوب تغلب عليه السخرية فقال لهم: "هذا ثخين لبرد روسيا!! وكذب وربّ الراقصات إلى منى، ويستدرك أو الراقصات في النِّمَرْ إنْ شِئتَ أن تتمدَّن وتكفر وتصير إلى جهنم وساءت مصيرا". وهو هنا أشبه شيء بابي العلاء في غفرانه. وقد استدل كثيرا بآراء أبي العلاء من غفرانه (الطيب، عبد الله،١٣)[١٥] مثل قوله: " ومولاه المسيح الذي عنه يتحدث لا يسبِقَنْ إليك أنه المسيح عيسى بن مريم، ولكنه أحد الكثيرين الذين ادّعوا النبوة بعد نبينا محمد ﷺ وقد ذكر منهم أبو العلاء جماعةً في رسالة الغفران فهذا يُضاف إليهم"(الطيب، عبد الله،١٤)[١٦].

يعدّ تداخل الأزمنة سمةً بارزةً في الكتاب، وساعد ذلك على تنوع الأحداث وسهولة الربط بينها، كما برزت في الكتاب ظاهرة تعدد الشخصيات وتنوع مقاماتها واختلاف أدوارها ومواطنها وأزمنتها الشيء الذي تطلّب من الكاتب قدرةً فائقةً لحركة الزمان والأحداث والشخصيات.(الحمود،علي،١٥)[١٧] وهكذا كانت قدرات الكاتب المتنوعة وتجاربه لها أثرها في ذلك، فهو الأستاذ حينها في مراحل التعليم ببلاده وهو القاريء الموسوعي المتنوع المعارف، حيث تعمق في قراءة الموروث من الفكر والثقافة العربية وآدابها منذ شبابه الأول ،كما ألمّ بالإنجليزية وأجادها أيما إجادة واطلع على آدابها، إضافة لإلمامه بتاريخ الشعوب وطبائع أهلها، يضاف إلى ذلك معرفته العميقة بالثقافة السودانية القديمة والمعاصرة الشيء الذي مكّنه من سبك الحكايات والروايات والأساطير الشعبية بحنكةٍ واقتدارٍ في كتابه هذا. وقد اعتمد الأسلوب السردي القائم على الجمع بين الوصف والحكاية (الحكاية الواصفة) الشيء الذي مكنه بيسرٍ من الربط بين الأجناس الأدبية المختلفة في كتابه.

ثانيا- مظاهر التناص في الكتاب:

التناص ترجع مادته اللغوية إلى " نصص"، التي ورد ذكرها في المعاجم اللغوية القديمة في معنى "الإظهار"، و"الازدحام"، وفي مختار الصحاح وردت "نصّ الشيء رفعه، ونصّ الحديث إلى فلان رفعه إليه"[١٨]، وورد"نص المتاع إذا جعله فوق بعض، وتأتي-أيضًا-بمعنى الازدحام، تناص القوم؛ أي ازدحموا"[١٩].

ومن خلال قراءتنا للمعاجم اللغوية يمكن القول: إنّ التناص ورد بعِدّة معانٍ أهمها وروده بمعنى الازدحام بكل ما فيه من تداخل وتفاعل بين المزدحمين، وقد يشي ذلك المعنى بأنه الأقرب إلى المفهوم الحديث للتناص، الذي يعني تداخل النصوص وتزاحمها داخل بنية النص.

أما في الدراسات الغربية الحديثة وقبل أن يتبلور مصطلح التناص ظهر مبدأ (الحوارية) على يد العالم الروسي ميخائيل باختين، الذي عرّفه بأنه:"الوقوف على

حقيقة التفاعل الواقع في النصوص في استعادتها أو محاكاتها لنصوص أو لأجزاء من نصوص سابقة عليها"[٢٠]، ثم استوحت الباحثة "جوليا كريستيفا عام (١٩٦٦م) مصطلح التناص في كتاباتها التي نشرت في كتابها «نص الرواية»، وفي تقديمها لكتاب (دستويوفسكي) لباختين"[٢١]. ولذا يرى رولان بارت أن "التناصية قدر كل نص مهما كان جنسه"[٢٢]، ويعدّ التناص مؤشرا لتعدد ثقافة المبدع وتنوعها فهو إضافة إيجابية في عمله وليس خصما عليها.

أما في الدراسات النقدية العربية الحديثة فلم يثر مصطلحٌ نقديٌّ حديثٌ ما اثاره مصطلح التناص لتشعُّبه وتداخل مفاهيمه، وفي محاولة لوضع آلية للوصول إلى تعريف جامع مانع للتناص يلجأ د. محمد مفتاح إلى"استخلاص مقومات التناص من مختلف تعاريفه لدى الغربيين في الآتي:

١-فسيفساء من نصوص أخرى أُدْمِجت بتقنيات مختلفة.

٢-ممتص لها يجعلها من عندياته وبتصييرها منسجمة مع فضاء بنائه ومع مقاصده.

٣-مُحول لها بتمطيطها وتكثيفها بقصد مناقضة خصائصها ودلالتها، أو بهدف تعضيدها، ثُمّ يخلص د.محمد مفتاح إلى التعريف التالي للتناص:"أنَّ التناص هو تعالق (الدخول في علاقة) نصوص مع نص حديث بكيفيات مختلفة."[٢٣].

تعددت تفريعات وتقسينات أنواع التناص عند الباحثين وأشهرهاالتناص الظاهر والتناص الخفي، وقد يقسم لثلاثة أنواع:

١/ الاجترار: وهو إدراج النص السابق بفحواه ومبناه في النص اللاحق وهو أضعف مستويات التناص من الناحية الفنية.

٢/ التناص الامتصاصي: وهو الاكتفاء بامتصاص المعنى دون المبنى وهو أرقى من النوع الأول، فالشاعر يجتهد في إعادة صياغة النص الغائب وتوظيفه توظيفا جديدا في نصه وهو يشابه مصطلح (السلخ) في النقد العربي القديم

٣/ التجاوزي أو التحاوري وهو أرقى مستويات التناص لأن الشاعر أو الكاتب فيه يذيب النص أو النصوص الغائبة في نصه بقدرةٍ إبداعيةٍ يصعب ملاحظتها عند القاريء المتعجل، وكلما كان التناص خفيا يلمح فيه أثر النص الغائب لمحا بعيدا كان أرقى درجة وأحسن وقعا، وهذا يقوي معنى القول:"إن كل نص هو تناص وأن النصوص الأخرى تتراءى فيه بمستويات متفاوتة"[٢٤].

١ ـ التناص الاجتراري المباشر:

وهو أقرب ما يكون لمسمّى التناص الاجتراي لوضوحه وظهور مؤشرات دلالية تقودك بسهولة للنص الغائب. وقد تعددت وتنوعت صور التناص في كتاب "من نافذة القطار"، وكثافة التناص دليل على غزارة ثقافة الكاتب وتنوع مشاربها، وقد جمع الكتاب بين التناص المباشر وغير المباشر. وإن كان التناص المباشر أكثر حضورا. ونعني بالتناص المباشر أن يأتي الكاتب "بصورةٍ ساخرةٍ مباشرة أو بالتلميح أو الإشارة أو بالاستيعاب والتمثيل لخصائص نصٍ أدبيٍّ سابقٍ في نصٍ أدبي لاحق"(أبو بكر، أسماء ١٦)[٢٥]، ويسمى التناص المباشر أحيانا بالتناص الكلي والحرفي، ومنهم من يسميه الاجتراري، بينما يسمى التناص غير المباشر بالتناص الجزئي أو التجاوزي.

وفي التناص المباشر يُضمّن النصّ نصا آخر بصورةٍ حرفيةٍ أو شبه حرفيةٍ، ويتجلى ذلك من خلال حضور ألفاظ نصوصٍ سابقةٍ أو تراكيبها في النص اللاحق، أما غير المباشر فيتم بآليات مختلفة(الأحمد، نهلة، ١٧)[٢٦]. وفي صور التناص المباشر قد تتشكل النصوص الجديدة من خلال تفاعلها مع نصوص تراثية سابقة عليها أو معاصرة (الحمود، علي،١٨)[٢٧]. ففي موضع حديثه عن مماطلة مدير المعارف صوّر الكاتب شكواهم وتبرمهم من ذلك كثيرا، حيث طالت مدة انتظارهم من غير جدوى وهم يهمون بالسفر لإنجلترا مبتعثين للدراسة هناك، فبعد أن يتأوّه بكل

ألفاظ التوجع والتألم في اللغة العربية "آه آه وأواه ،اح أح...يأتي ببيتين للشنفرى لتناسب الموقف (الطيب، عبد الله،١٩)[٢٨]:

بكى وبَكَتْ ثُمَّ اتّسَى بعدُ واتّسَتْ مَرامِيلُ عزَّاها وعَزَّتْهُ مَرْمَلُ

شَكا وشَكَتْ ثُمَّ ارْعَوَى بعدُ وارْعَوَتْ وللصَّبر إنْ ينفعُ لشَّكْوُ أجْمَلُ

ومن صور التناص المباشر ما ورد في سياق وصفه للرحلة بين حلفا وأسوان فقال: ''وكان السفر بالباخرة بين وادي حلفا وأسوان من المتع المرتقيات. أنظر رسالة الغفران اللذائذ المرتقيات[٢٩]"(الطيب، عبد الله،٢٠) .وقد يأتي التناص المباشر عنده في لمحٍ وإيماءٍ دون تصريح مثلما فعل حينما أخذ يقارن بين الخرطوم والقاهرة: ''أول عهدنا بمدينة ضخمة، إنّ الخرطوم لحلة كأطلال سعدى في قفار ملس"(الطيب، عبد الله،٢١)[٣٠] وهو هنا يتناص تناصا مباشرا مع البحتري في قوله: (البحتري، الوليد ،٢٢)

حِلَلٌ لم تَكُنْ كأطْلالِ سُعْدَى في قِفَارٍ من البَسابِسِ مُلْسِ[٣١]

ويستطرد كعادته ليدخل في حقل النقد الأدبي من هذا الموقف ذاكرا قولا للدكتور زكي مبارك في سياق النقد والأخذ عليه أن يذهب ذلك الموقف حينما "زعم الدكتور زكي مبارك أن سينية شوقي كسينية البحتري أو أجود. لقد والله تعصب وأساء"(الطيب، عبد الله،٢٣)[٣٢] ويظهر بجلاء تعصب الكاتب للقديم وهو لا يخفي ذلك في عديد من المواقف من كتابه. ومن التناص المباشر قوله: "وآخر عهده بها يوم ينهمر المطر ساخنا في منتصف الصيف ثم أخلف وعدها مرتين و"ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنّا حمّلنا أوزارا من زينة القوم"[٣٣](الطيب، عبد الله، ٢٤) وهو تناص مباشر مع الآية الكريمة من سورة طه وهي قوله تعالى: ﴿ **قالوا ما أَخلَفنا مَوعِدَكَ بِمَلكِنا وَلـٰكِنّا حُمِّلنا أَوزارًا مِن زينَةِ القَومِ فَقَذَفناها فَكَذٰلِكَ أَلقَى السّامِرِيُّ** ﴿٨٧﴾

٢ـ التناص غير المباشر (الامتصاصي والتجاوزي):

وقد يلتقي التناص غير المباشر في مفهومه بنوعي التناص الآخرين الامتصاصي والتجاوزي، وهو ألا يأتي الكاتب بالنص الغائب بألفاظه أو بقدر كبير واضح من محتواه، وإنما تلمح ذلك النص لمحا من خلال مفردةٍ أو من خلال تناصّ الأفكار والمصطلحات، أو من خلال استدعاء شخصيةٍ تاريخيةٍ أو معاصرة مثلا، وفي تراثنا البلاغي والنقدي نجد مصطلح (التلميح) يعدّ من أقرب المصطلحات البلاغية تحقيقا لمفهوم التناص غير المباشر(الحمود، علي،٢٥)[٣٤]. والتلميح لغة بمعنى اختلس النظر كألمحَ البرق والنجم: لمحا وتلماحاً، وهو لامحٌ ولّمح وألمَحَهُ جعله يلمح وهو لامِحٌ ولموحٌ ولّماح وألمحت المرأة من وجهها أمكنت من أن يلمح، تفعل ذلك الحسناء تري محاسنها ثم تخفيها"(الفيروزآبادي،٢٤) والتلميح اصطلاحا هو " أن يُشار في فحوى الكلام إلى مثَلٍ سائرٍ أو شعرٍ نادرٍ أو قصةٍ مشهورةٍ، من غير أن يذكر"(الرازي، فخر الدين،٢٦)[٣٥]، أي من غير أن يذكر أنه إشارة إلى القصة أو المثل أو الشعر وقد يسمّى (التمليح)"(السبكي، بهاء الدين ،٢٧)[٣٦]

ومن ذلك قول المؤلف:"وذهب التلميذ الرباطابي إلى السفرة(غرفة السفرة، المائدة) فوجد أولاد دنقلا يأكلون فسيخا(الطيب، عبد الله ،٢٨) [٣٧] فولى هربا- فندي فندي أولاد دنقلا بياكُلُوا لُنْ في رِمَّه. يكاد يميل قبل الهاء كما يفعل الكسائي في رحْمَة، بل يكاد يخترم الميم قبل أن يصل الهاء ويُشمها شيئاً بين كسرٍ وشدّ: في رمَ"[٣٨] (الطيب، عبد الله ،٢٩). ومن قبيل ذلك حديث الكاتب عما كان يدور في بيئته وغيرها من مواطن بلده حينذاك من أقاويلَ وروايات وحكاياتٍ عن الأولياء والصالحين والبيانات التي توضع لهم، والحديث عن زياراتهم لتلك المقامات وتقديم القرابين عندها، وساقه ذلك للاستطراد في حديثه عن (العنج) وأصولهم ووصف ضخامة أجسادهم وطولها، وأنهم من أصولٍ عربيةٍ خالطت أصولا كوشيةً[٣٩] (الطيب، عبد الله ،٣٠)أو نوبيةً وأنّ الناس اعتقدوا فيهم ومنحوهم شيئا من

القداسة. وأشار لاثنين منهما اعتقد فيهم الناس أكثر من غيرهم ربما لأنّ البعض كان يعتقد أنهم من كهنة آمون، ولما جاء الإسلام بيّن بعض الشيوخ مكانهما صحابيين أو وليين هما عبد المغيث وعبد المعبود (الطيب، عبد الله ،٣١)[٤٠]، ويستطرد في حديثه عنهما ليتناول غيرهم ممن سماهم شيوخ (الزيانة[٤١])(الطيب، عبد الله ،٣٢) أي أن الناس اعتقدوا فيهم البركة بحلق رؤوس الصبيان وأحيانا الصبايا عند بياناتهم، ويقوده ذلك لتخريجات يربط بين بعضها للحديث عن قصة الوأد للمولود أو تقديم القرابين للآلهة أو لنهر النيل فيما عرف عند الفراعنة بعروس، يقدمونها له حتى يكون الفيضان طاغيا ومغطيا للمزارع والجزر حينذاك، وخلص إلى أن حلق الشعر هو تطوّرٌ عن تقريب النفس، يقول: "وكان الناس في أيام الشرك والوثنية الأولى يُقربون الضحايا البشرية للآلهة، من ذلك ما يذكر أن أهل قرطاجنة كانوا يضحون بالأطفال لـ(ملوخ)[٤٢] (الطيب، عبد الله ،٣٣)، ثم يخلص للتطور الذي حدث بأن جعلوا عُذرة العذارى مما يُضحى به مكان النفس الآدمية، فصارت الفتيات مما يُفتضضن في بيوت الأصنام...ولابدّ أن دهورًا سالفةً كانت بعض الأمم تذبحهنّ مبالغة في تقريب العذرة. والوأد من هذا أو قريب من مذهبه"[٤٣] (الطيب، عبد الله ،٣٤).ثمّ حدث تطور آخر بأن جُعل الشَّعرُ مكان العُذرة ...من أجل هذا كثيرا ما تجد الشَّعرَ رمزا للقوة، كما كان الشعر رمزا لنقاء العرق وكرم المحتد عند العرب في زمانهم الأول يتجلى ذلك في منافراتهم في الجاهلية، والمنافرة ضربٌ من المفاخرة إلا أنها تعتمد على اللجوء لحكم أو حكام للفصل بينهم في المفاخر والمكارم وقد يكون ذلك الحكم أحد حكمائهم أو أحد كهانهم أحيانا مثل المنافرة المشهورة بين هاشم بن عبد مناف وأمية بن عبد شمس إلى الكاهن الخزاعي في الجاهلية.. ثم يخلص لقوله" وأحسب أن جزّ النّواصي عند العرب إذا ظفروا بأسير وعفوا عنه أصله من هذا يجعلون شعره مكان رقبته" (الطيب، عبد الله ، ٣٥)[٤٤]

ومن صور التناص غير المباشر تناص الأفكار والمعاني(الحمود، علي ٣٦)[٤٥]، وهذه الصورة من التناص قد تكون مع أفكارٍ عامةٍ أو مع أفكار خاصة أحيانا تنسب إلى رؤية محددة كالرؤى الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية[٤٦] (الزعبي،أحمد ،٣٧).

هذه بعض نماذج من المواضع التي تناص فيها الكاتب مع نصوص أخرى بعضها قديم وقليل منها معاصر، وفي هذا التنوع في مواضع وصور التناص دلالة على عمق ثقافته وتنوع مشاربها إذ أن التناص لا يعني قصور نظر الكاتب أو قلة بضاعته الشيء الذي يدعوه للاستعانة برؤية غيره أو تمثل مواقفه، إذ أن التناص لا يعني الموافقة دائما فقد يعمد الكاتب أو الشاعر لرأي غيره بالمحاورة أو النقض والتجاوز أحيانا ولهذا السبب اقترح لوران جيني إعادة تعريف التناص بقوله إنه: "عمل يقوم به نص مركزي لتحويل عِدّة نصوص وتمثلها، ويحتفظ بريادة المعنى"[٤٧]. وقريب من هذا المعنى ما ذهب إليه دكتور عبد الله الغذامي في تصوره للتناص إذ ينظر للنص على أنه"نتاج لملايين النصوص المختزنة في الذاكرة الإنسانية خاصة في شقها اللاواعي، ومثلما أنّ النص ناتج لها، فإنه أيضًا مقدمة لنصوص ستأتي وهذا يجعل مبدأ تداخل النصوص منعطفًا تمر به كل النصوص...فليس النص إذًا إلا وجهًا لعالمه النصوصي"[٤٨].

ثالثا ـ الحكايات الواصفة:

تُعدّ الحكاية الواصفة من الأدوات المفضلة لدى الكاتب إذ تمكنه من الجمع بين أشتات القضايا في تداعٍ سلسٍ ومحكمٍ، وقد تعددت مواضع الربط بين الموضوعات في كتابه هذا مستفيدا من التناص المباشر وغير المباشر، ففي أحد المشاهد يربط بين وصفه لرجل قابلهم في لندن وبين وصف الأصَلة[٤٩] والظبي ووصف الإدام أو (المُلاح) باللهجة السودانية فيقول:" ولاح آخر ذو طربوش، حليق "ناعم" كالسحلية[٥٠] (الطيب،عبد الله، ٣٨)ولعله أضرى من الأصَلَة،

التي تصطاد الظباء، وأدرب بمعاملة أصناف الخشونة البشرية من أبطال الأفلام الأمريكية، مثل كونراد فيدت في كسبلانكا"[٥١] (الطيب، عبد الله، ٣٩)، ثم يستطرد من ذلك عن غرائب صيد الأصلة للظباء متّبعا طريقة الجاحظ في كتابه الحيوان[٥٢] (الجاحظ، عمرو بن بحر، ٣٤٠)حينما حكى عن غرائب صيد الحيات للطيور والجراد، فيقول الكاتب: " قالوا إن الأصلة تعمد إلى شجرةٍ كالطلحة لها بَرَم أصفر كاسٍ، البَرَم جمع بَرَمة بفتحتين وهي زهرة الطلح، والطلح من أشجار العضاه كالسنط والسدر والسّلم والسمر وهلم جرا. فتصعد الأصلة الشجرة حتى تصل أعلاها، ثم تهز بها هزّا فيتساقط البرم الأصفر على الأرض، فيجيء الظبي حذرا فلا يرى شيئاً، والبرم يعجبه، إذا اطمأن انحنى يأكل، والظبي شَرِهٌ جدّا وشرسٌ جدّا فيما بلغني، أحسبه شرسا من أجل أنه مليح، وكل مليح (مُلاح) يأكله الهوى أو تأكله البطون، والمُلاح بضم الميم هو إدام الطعام باللهجة السودانية، وقال الآخر[٥٣] (الطيب، عبد الله، ٤١)

فلو كنتَ عُذري العلاقة لم تَكُنْ بَطِيْناً وأنْسَاكَ الهَوَى كَثْرةَ الأكْلِ

وبمجرد إهماك الظبي في أكل البَرَم تنحدر الأصلة في لا صوت وفي صبرٍ بطيءٍ يرمق غرضا يريد بلوغه لا يحيد عنه، فإذا بلغت أصل جذع الشجرة أخذت تزحف في لا صوت، وهذا أعسر عليها، وفي بطءٍ مرهقٍ وصبرٍ قاسٍ لا ترى غير الظبي الغافل، حتى إذا صارت إليه المسكين وثبت وثبةَ نَهِمٍ مغرمٍ حاقدٍ لئيمٍ غشومٍ عارمٍ فعضّت ووضعت قرنيها في أنفه، والتفّت حوله في سرعة العفريت عمياء بلذة القرم الهوجاء.

وبِالماءِ قَيْسٌ أَبو عَامِرِ يُؤَمِّلُهَا ساعَةً أَنْ تَصُومَا

هذا البيت يقوله ربيعة بن مقروم الضبّي يصف حال الصائد المتربص يراقب الحُمُر الواردة أن تقف ساعة ليرميها...فإذا اهمكت الأصلة في الصيد جاء قيس بحربته وحباله فقضى عليها وسلخها فباع جلدها وأكل الظبي وادّخر لحمه وباع جلده، وفي الشرق الأقصى يأكلون لحم الأصلة أيضا"[٥٤].(الطيب، عبد الله، ٤٢)

فأنت تراه في هذه المقطوعة الوصفية جمع بين وصف صيد الأصلة ووصف شجر الطلح والبرم ووصف الظبي ووصف غرائب صيد الحيوان وتربص الصائد عند شجرة الطلح عالما بما يجري، إضافة لوصف عادات الشعوب في أكل لحم الأصلة ولحم الثعابين.

ثم يواصل حكايته معتمدا على التناص مع قول لجرير فيقول: "ومن الثعابين ضرب أسود ثخين تستخرجه الدجاجة وأخواتها فينقدنه بمناقيرهنّ حتى يموت... والدجاج من الطير المسلم! قال جرير:

لّما تغرّبْتَ بالدَّيْرِيْنِ هيّجني صوتُ الدجَاجِ وقَـــــرْعٌ بالنَّواقِيْسِ

وقرع النواقيس أشبه بالديرين إلا أن جريرا لإسلامه كان أحبّ إليه صوت الدجاج. وقال أبو نواس:

ذكَرَ الصَّبُوحَ بِسُحْرَةٍ فارْتَاحَا وأملّهُ ديكُ الصَّباحِ صِيَاحَا

وإنما أملّه لأنه ذكّره بالصلاة وهو يهمّ بعصيان ولو كان جاهليا لهشّ له كالذي فعل لبيد حيث قال: (الطيب، عبد الله ،٤٣)

بادرتُ حاجَتَهَا الدَّجاجَ بِسُحْرةٍ لأعلّ منْهَا حِينَ هَبّ نِيَامُهَا

وكثيرا ما يشدك مشهدٌ وصفيٌّ وانت تقرأ الكتاب حتى يخيل إليك كأنك تعيش الحدث بتفاصيله وحركاته ومكوناته،"ركبنا القطار إلى لندن وإذا الريف الإنجليزي بوهاده ونجاده الأخضر، لم نر شيئا كهذا من قبل إلا في الصور، ووصلنا (واترلو)، وإذا بنساءٍ ضخماتٍ يدفعن أمامهن عرباتٍ صغيراتٍ قيل لنا هؤلاء عتالات. لن والله يطلب من إحداهن أن تحمل شنطته فيسمع أهله الشوس بالسودان أنه استأجر عتالة ستا لتشيل له شنطته يا للعار!!"[٥٥] (الطيب، عبد الله، ٤٤)

أداته البارعة في الوصف تستعين عادة بالتناص بين نصوص شعرية قديمة وأشعار أو ومواقف آنية يعرض للحديث عنها، فهو عند وصفه للصباح في إنجلترا مبهورا بمنظر الريف الإنجليزي يقول: " الضأن والبقر الضخام كأنما عليها الملاءات

والأشجار الدوحات العظام والشمس مشرقة على الربا والوهاد والشجيرات والحظائر كأنما هي قمر. ولقد نظر أبو تمام فأدق النظر حيث قال:

تَرَيَا نَهاراً مُشْمِساً قَدْ شَابَهُ زَهْرُ الرُّبَا فكأنَّما هُوَ مُقْمِرُ

وشمس إنجلترا إذا سطعت خالط ضوءها هبْوٌ من بخار الطلّ، هبْوٌ لا تكاد تتبينه أول الأمر، كأنما هو كسرة رقيقة أوجزء من ألف ألف من الملمتر من الزجاج الشفاف ــ قيل ادخلي الصرح فحسبته لجّةً فكشفت عن ساقيها، وكان عليهما شعرٌ خفيف"[٥٦] .(الطيب، عبد الله،٤٤)

ولعلك تلاحظ كيف ربط ببراعته بين الآية في سورة النمل وهي قوله تعالى: ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ ﴿٤٤﴾ ووصف البقر والسماء الغائمة مع سطوع الشمس وبين قول أبي تمام. وهو مولع جدا بالتناص والاستدلال من قول أبي تمام وأبي الطيب وأبي العلا المعري في كثير من المواضع من كتابه. فهو عند وصفه للأسلاك التي تشد أعمدة التلفونات يشبهها بأطناب الخيمة فيقول[٥٧]: (الطيب، عبد الله ٤٥) " والطُنُبُ بضمتين حبل الخيمة وجمعه أطنابٌ، قال أبو تمام:

حتّى تَرَكْتَ عَمود الشرْكِ مُنْعَفِراً ولم تُعرِّجْ على الأوتادِ والطُّنُبِ

ويستطرد كعادته لذكريات صباه وطفولته في بيئته تلك فيقول" كأنهما شبَّهَا العمود الذي له طنبان بذبابة (ضبّانة) أي ذبابة لها جناحان، ولم يشبهها بعصفور أو حمامة لكثرة الذبان آنئذٍ في المنازل، والذال تنقلب في العامية السودانية ضادا. من ذلك قولهم (الضباينة) لقبيلة بشرقي السودان أصلها لا شك من بني ذبيان وإليها يُنسب ولد زايد صاحب القدح المشهور ، قيل كان ينحر الناقة"[٥٨] (الطيب، عبد الله ،٤٦). وقد يقوده الاستطراد في حكايته الواصفة إلى التأصيل اللغوي

للمصطلحات والمسميات في البيئة السودانية، " وكان ولد زايد يأمر من يأمرهم أن يجعلوا لحم الناقة كله (شرموطا) والشرموط هو القديد أكثر ما يصنع من لحم البقر، وخبر ولد زايد يدل على جواز صناعته من لحم الإبل، ولحم البقر أطعم وأشد أسرا فتقديده يميت من أسره...ويدقّ الشرموط ويوضع منه قليل مع (الويكة) ويسمى هذا ملاح الشرموط، وإذا كثر دقيق الشرموط وخلط ببصل محمّر في السمن وبويكة مدقوقة كان منه ملاح أحمر ثقيل الوزن عظيم الغذاء لذيذ الطعم يُسمّى ملاح التقلية"[٥٩](الطيب، عبد الله، ٤٧)

ومن صور الحكاية الواصفة جنوحه نحو السخرية من خلال رسم المشهد المحكي: " واكتشفنا بعد أيام أن الطحنية تستميل بعض قلوب الإفرنج إذ صار عن طريقها بعض الصولات أصحاباً لنا وكان أحدهم مسكين الوجه كالعتر جعل يقص لنا عن أهله ...فجعلنا نسأله عن برد انجلترا وخطر الالتهاب الرئوي وجعل الصول الطيب يحدثنا عن حمام الخردل وفوائده...وقال بعض الإخوان لقد كان فلان صالحا حقا حين أهدى لنا الطحنية وهذه بركتها قد ظهرت والله تعالى أعلم"[٦٠] (الطيب، عبد الله ٤٨).

رابعا ـ النقد وصوره في الكتاب:

تعددت أنواع النقد وتداخلت أحيانا منها النقد الاجتماعي ونقد سلوك التدين وطقوسه والنقد الأدبي ونقد مناهج التعليم في الشرق والغرب ومن أمثلتها:

أ ـ نقده لسلوك التديُن وممارسة طقوسه:

وعادة ما يستخدم التناص للربط بين طقوس الشعائر وممارستها قديما وحديثا أو بين مجتمع وآخر، فقد يورد آياتٍ قرآنيةً أو أبياتٍ شعريةً أو أمثالاً شعبيةً ويستطرد من ذلك بأسلوبه الساخر في النقد لقضية أخرى ذات صلة، فمثلا عند شهوده طقوس الصلاة في إحدى الكنائس في انجلترا يقول: "يبدؤون صباح الدرس بصلاتهم...يجتمعون في قاعةٍ فيصمتون، ثم أحدهم يستشعر أنّ الروح حرّكه فيتقدم

إلى الإنجيل فيقرأ منه. قرأ أحدهم قصة جونا أو يونس مرة، والتي في القرآن أفضل أداءً منها إذ فيها كالتحليل لشخصية يونس " وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظنّ أن لن نقدر عليه الخ الآية" ثم يخلص لقوله: " ولا تحسبنّ أن القرآن نظر إلى الإنجيل فنقل منه كما يقول بعض الإفرنج المستشرقين من أمثال (أسين) ..فالراجح عندي أنّ الإنجيل بل أعني الكتاب المقدس بإنجيله وتوراته وزبوره وعصريه التليد والطارف نظر إلى القرآن فأخذ منه وهذا قد يبدو غريبا عجيبا، قال الشيخ محمد المجذوب[٦١]: (الطيب، عبد الله، ٤٩)

حضورٌ إذا غِبْنَا وغَيْبٌ حُضُورُنا وذَا عَجَبٌ فليعْجَبَ المتَعَجِّبُ

وقد يلتبس نقد السلوك التعبدي، حسب تفسيرات الشعوب ونظرتها لغيرها، بالنقد الثقافي مثلما تراه في قوله حينما حكى عن الفتاتين اللتين ذهبتا لأحد المساجد بإنجلترا ولأول مرةٍ تشهدان صلاة جماعة من المسلمين، وكيف سخرتا من ذلك المشهد، وأن إحداهما جهرت بضحكها عند مشاهدتها منظر سجود الجماعة لأول مرةٍ، ثم يستطرد أن أفلام هوليود مولعةٌ بعرض موضع السجود في مواضع السخرية بالمسلمين فهي تحرص في أفلامها أن تريك المصلين من وراء، ولكنها لم تفعل ذلك حينما عرضت سجود القائد الروسي الذي سجد مرة فرحا بالانتصار عرضته من أمام فتأمل[٦٢].(الطيب، عبد الله، ٥٠)

وقد يجتمع عنده النقد الديني بالتاريخي والاجتماعي فيجمع ذلك في موضع واحد ببراعة واقتدار، فهو مرة يشير إلى مهدي السودان ذلك القائد الذي اجتمع تحت إمرته غالبية أهل السودان واجلوا الإنجليز والأتراك عن بلادهم فينشد مدحة لأحد أقاربه في الدامر مترنما:

مَهْدِي الله المنْتَظَرْ مَنْ شَكَّ فيهِ قَدْ كَفَرْ

وصوته بذلك جهير لو سمعه ذلك المسيحاني لملىء منه فرارا ورعبا"[٦٣] (الطيب، عبد الله، ٥١) ولا يخفى عليك التناص مع وصف الفتية في سورة الكهف"لو اطلعت

عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا"[٦٤] (سورة الكهف آية١٨، ٥٢) ولما عاد إلى المترل حيث كانا يسكنان قال (مب): لا أحب ذلك الرجل يشير إلى إمام الجامع إنّ في دينه بدعةً وأريد أن أعيد صلاتي" وقد أصاب فقد كان سُنِّيًا مالكيا سليم الفطرة لا يشك أن من ادّعى النبوة بعد محمدٍ كافر. وكان الإمام الجدلي حدثنا عن قرآن صاحبه وأنّ جماعة من الإنجليز قد اعتنقوا هذا المذهب لغير بعده كثيرا عن الذي كانوا عليه من التثليث!!. ثم ينتقل للنقد الاجتماعي المتلبس بنقد سلوك التدين فيقول" نحن المسلون الأفريقيون نحب العرب وننسب أنفسنا للعرب من أجل محمد وأنت أيها العربي المسيحي ينبغي أن تخجل من نفسك...وأحسن الكميت إذ قال يمدحه عليه السلام:

بِكَ اجْتَمَعَتْ أنسَابُنَا بَعْدَ فُرْقَةٍ فنحْنُ بَنُو الإسلامِ نُدْعَى ونُنْسَبُ

وعسى أن يكون الكميت قد نظر إلى قول نهار بن توسعة وكانا متعاصرين:

أبي الإسلامُ لا أبَ لي سِوَاهُ إذا افْتَخَرُوا بِقَيْسٍ أَوْ تَمِيْمِ

وفي الموضع نفسه ينتقل للحديث عن الصينيين وسلوكهم وعاداتهم من خلال حديثه عن صديقهم الصيني" وكان (ط) الصيني كثير الكلام كثير الانفعال، ساخن تعبير الوجه دافئ العاطفة ومع ذلك قوي الأعصاب[٦٥](الطيب، عبد الله ،٥٣)

ب ـ نقده لمناهج التعليم:

كثيرا ما يعرض لتقييم طرق التدريس بالنقد والتقييم خاصة تدريس الناشئة في المدارس الأولية، فمثلا يرى أن التلاميذ الصغار ينبغي ألا تقرر عليهم موضوعاتٌ لا تناسب أعمارهم خاصةً في كتب التربية الإسلامية والمطالعة فيقول: " وفي الكتاب كانت كلمة (الزنا) والتلامذة كلهم يعرفونها وهو لا يعرفها وهو لا بد أن يعرفها...ثم يرفع الصبي يده متسائلا: فندي الزنا يعني شنوه؟ وضحك التلاميذ وكان المدرس أباه، الله يهديك يا ولدي"[٦٦].(الطيب، عبد الله، ٥٤) ولعل السبب في ذلك المفارقة بسبب اختلاف أعمار التلاميذ في المرحلة الأولية حينذاك فقد ذكر أيام

دراسته في (مقرات) وهي جزيرة كبيرة بشمال السودان غربي أبو حمد أنه كان أصغر التلاميذ هو وآخر أما البقية فكانت أعمارهم تفوقهم بكثير[٦٧].(الطيب، عبد الله، ٥٥)

ومن صور نقده لطرائق التدريس ما شكا منه من كثرة السمنارات في المدارس الإنجليزية هناك ويرى أنها لم تكن ذات جدوى وافية وهي أقرب للتسلية وتضييع الوقت وقد أصاب كثيرا من زملائه الملل يقول "ضقنا ذرعًا بالسمنارات وكان يحضرها معنا مفتش تعليم من جزر الهند الغربية ومفتش تعليم من جنوب أفريقيا، وشكوت إلى صاحبي ضياع زمننا فلامني على عدم الصبر، وكان أعقل مني و لم أطعه فشكوت إلى الأستاذة فنظمت لنا عدة زيارات لمدارس في نواحي لندن"[٦٨]. (الطيب، عبد الله، ٥٦)

ج ـ نقده لبعض السلوك الاجتماعي (العنصرية والحسد):

الحسد ظاهرة اجتماعية تدل على كره الخير البادي على الغير. وهو مما يزعج الكاتب جدا وقد تجلى ذلك في مواضع عدة من الكتاب، وله حضور وافر في دواوينه الشعرية، وفلسفة الحسد عنده ناتجة من الشعور بالتفوق والتميز والحظوة في نيل مراتب عجز عنها الكثيرون، وليته كان غيرة أو غبطة لكان إيجابيا يقود لمنافسةٍ وتفوق، ولكن الحسد الذي يصوره هو ذلك المرض القلبي والضيق والتبرم حينما يرى الآخر أنك محظوظ أو حققت ما عَجزَتْ عن قدراته، ولشدة خوف الكاتب من هذه الظاهرة قد يتوهمها أحيانا مثلما تحدث عن ذلك الرجل الذي قابلهم وهم يهمون بالسفر لإنجلترا وقدم لهم بعض النصائح، فعلق على كلامه بقوله: "ولكنه قال ذلك ليحسدنا ويشعرنا أنه يحبنا لو كان الحسد والحب يجتمعان في قلب واحد، ثم يقوّي ظنه بقول أبي الطيب:

يُؤذي القَلِيْلُ مِن اللِّئامِ بِطَبْعِهِ مَنْ لا يَقِلّ كَمَنْ يَقلّ ويؤلمُ
والذُّلُّ يُظْهِرُ في الذَّلِيْلِ مَوَدَّةً وأودّ مِنْهُ لَمَنْ يَوَدُّ الأرْقَمُ

وقد يرتبط حديثه عن الحسد وفلسفته بعقدة العنصرية التي تلازم الرجل الأبيض حينما يخالطه السود المكان أو التعامل، وعقدة اللون والإحساس بالتمييز والتفرقة بسببه كانت حاضرةً في عديد من المواقف سواء تلك التي تَرِدُ على ألسنة الطلاب الأفارقة من رفاقه أو الهنود الغربيين، وقد تختلط نظرة العنصرية بجانب الدونية بالإحساس بالحسد لما ينالونه من العناية أو الجلوس أو السكن أو الأكل في مواضع يراهم الرجل الأبيض أنهم لا يستحقونها بأي مبرر كان، ومن أمثلة ذلك حينما صوّر أن المشرف الإنجليزي حسدهم على التحدث مع المشرفات على قاعات الطعام وكنّ شابات كواعب: "وساء المشرف على المترل كثرة أحاديث الطلبة معهنّ وضربٌ من التآنس بدأ يدبّ، فأصبحوا وقد طردهنّ جميعا واستبدلهنّ بعجائز شهربات[٦٩]!!"(الطيب، عبد الله، ٥٧). ثم تراه يربط بين هذا وبين قاعدة نحوية في صور من صور التناص فيقول: " بعض الآسيويين يوافقون على تهمة العنصرية من غير حماسة، إذ عندم أنهم آريون كالإنجليز والألمان، وعلى هذا يكونون بيضا وإن غشي ألوان جلودهم سواد، ويكون بياضهم مستترا وجوباً كالضمير في اكتب وقم وخلا وعدا"[٧٠] (الطيب، عبد الله، ٥٨)

ففي الوابور الذي أقلهم من بور سعيد وقف عند وصف مشاهد تجلت فيها العنصرية بوضوح: " أول ما دخل "ل" وكان شابا حدثا لقيه (صول) كريه واعترض سبيله: " هذا مكان معد للصولات لا للزنوج" واستعمل كلمة (نقرز) ...وبعد يومين شكا أحد الضباط من أن أحد السود ذهب كالناس في الحمام!! وثار بعض كبارنا وتولوا الدفاع عن قضيتنا مع الضابط، وكنا نحن والأثيوبيون صفا واحدا وكان معنا تركي لا يعرف الإنجليزية ولا العربية ...، كان جماعة من الصولات يحسدوننا على الحمامات وبيوت الأدب"[٧١] (الطيب، عبد الله، ٥٩)

الخاتمة:

تناولت الدراسة كتاب "من نافذة القطار" من حيث المحتوى وتكوين الخطاب بتسليط الضوء على مكوناته ومحتوياته من حيث التنوع ووسائل الربط بين تلك القضايا والموضوعات. وقد ركزت الدراسة على بيان محتوى الكتاب والذي يمثل جزءا أول من سيرة الكاتب الذاتية حيث تكتمل فصولها في كتابه الآخر "من حقيبة الذكريات" وقد اعتمد الكاتب في سرده لسيرته على الربط بين عدة تجارب عايشها في بلده وفي الغرب مثلت طفولته وصباه وشطرا من شبابه، كما عرض في كتابه لعدة أجناس أدبية منها الأمثال الفصيحة والشعبية والأشعار الفصيحة والشعبية أيضا، وقد استعان بعدة أدوات للربط بين تلك المحاور أهمها التناص والاستطراد. وقد خلصت الدراسة إلى عدة نتائج منها:

- يتصنف الكتاب في السيرة الذاتية المنفتحة وقد ركّز فيه الكاتب على محطته الأولى عند الانتقال إلى بريطانيا للدراسة فكانت تلك هي المرحلة الفارقة في حياته، وقد اجاد في كتابه الربط بين المرئي والتاريخي والمتخيل
- وقد بدا الكاتب اقل رفاقه انبهارا بالحضارة الغربية ومشاهد الحياة الجديدة ولعل ذلك راجع لسببين أولهما قراءاته في الشعر الإنجليزي وثانيهما غراسه العميق في بيت غلب عليه التدين والتصوف، إلى جانب معايشته للرجل الأبيض في حقل التعليم ودواوين الدولة ببلاده
- ظهر بوضوح تأثر الكاتب بأبي العلاء المعري خاصة في كتابه رسالة الغفران من حيث ميله للاستطراد واستخدامه الرمز والإيماء إلى جانب ميله للنقد الأدبي والديني والنقد الاجتماعي الساخر. والكتاب وإن تعددت موضوعاته ولكنه بدا محكم النسيج عميق الأفكار في ترابط نصي وأسلوبي بارع.
- في انفتاح الخطاب في هذا الكتاب وفي تداعي أفكار الكاتب على محاور عديدة من الموروث الإنساني وفي ذلك التعالق النصي الذي غلب على جزء كبير من

الكتاب لدليل على سعة ثقافة الكاتب وعمق معينه المعرفي في معارف إنسانية مختلفة ومتعددة. وقد تجلت في الكتاب سمة أخرى هي المقارنة مع ثقافة الآخر والموازنة بينها وبين الثقافة العربية في ماضيها وحاضرها.

- ومن الملاحظ غلبة الروح الدينية – ممثلة في النصوص الدينية والموضوعات ذات الصبغة الدينية والطقوس الشعائرية هنا وهناك- على كثير من محاور الكتاب ولعل النشأة الدينية والصوفية العميقة التي نشأها الكاتب في أسرته أسرة المجاذيب كانت ذات أثر كبير في ذلك.
- في أسلوب الكاتب ميل لإظهار المفارقة خاصة في تصوير العادات والتقاليد وسمات الشخصيات وسلوكها حتى في البلد الواحد. وبعد هذا التطواف يمكن القول إن الكتاب مليء بالمحاور والمعاني البكر التي تحتاج لسبر أغوارها في دراسات جادة في المستقبل.
- وبعد فالكتاب رغم قدمه من حيث الظهور فما زال بكرا يحتاج لدراسات من نواح شتى ليت الكتاب والدارسين يلتفتون إليه بمزيد من الدرس والبحث.

المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم

١- الأحمد، نهلة فيصل محمد ، التفاعل النصي (التناصية: النظرية والمنهج) ، كتاب الرياض، العدد ١٠٤، مؤسسة اليمامة الصحفية، ٢٠٠م

٢- بارت، رولان، **آفاق التناصية المفهوم والمنظور نظرية النص**، تعريب وتقديم: د. محمد خير البقاعي،ط١، لبنان، بيروت، جداول للنشر،٢٠١٣م

٣/ البقاعي، محمد خير، دراسات في النص والتناصية، ط١، سوريا، حلب، يمركز الإنماء الحضاري، ١٩٩٨م

٤- أبو بكر، أسماء، **آليات التناص النوعي في شعر الحداثة**، دار الزمان ، المدينة المنورة، ط، ٢٠٠٥م١

٥- الحربي، فايزة، **السرد الحكائي في الشعر العربي المعاصر**، الرياض، منشورات نادي الرياض الأدبي، ٢٠١٠م.

٦- الحمود علي بن محمد ، **تشكيل الخطاب في أقصوصة ألزهايمر**، الرياض ، ط١،٢٠٠١م.

٧- الرازي فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين ، **نهاية اللإيجاز في دراية الإعجاز**، تحقيق بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٥م

٨- الرازي، ، الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، **مختار الصحاح**، دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، طبعة ١٩٨٦.

٩- الزبيدي، ، محمد مرتضى الحسيني ، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، س لسلة التراث العربي، وزارة الإعلام ،ج١٨، الكويت: مطبعة حكومة الكويت،١٣٩٩هـ-١٩٧٩م

١٠- الزعبي ، أحمد، **التناص نظريا وتطبيقيا**، مكتبة الكتاني، إربد ، الأردن ط١، ١٩٩٥م

١١- الزواهرة، **ظاهر محمد، التناص في الشعر العربي المعاصر: التناص الديني نموذجا** ، رسالة ماجستير، الجامعة الاردنية، عمَّان، كلية الدراسات العليا ، ٢٠١١م

١٢- السبكي، بهاء الدين، **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**، تحقيق خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م

١٣- الطيب، عبد الله، **من نافذة القطار**، الخرطوم، نيو لايف، ط٣، ٢٠٠١م

١٤/ علقم، صبيحة أحمد، **تداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية (الرواية الدرامية نموذجا)**، المؤسسة **العربية** للدراسات والنشر والتوزيع، لبنا، بيروت ، ٢٠٠٦م.

١٥- غانم ، صبيحة أحمد، **تداخل الأجناس الأدبية،الرواية الدرامية أنموذجا**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ، بيروت، ط١، ٢٠٠٦.

١٦- الغذامي، عبد الله محمد، **تشريح النص** ، المركز الثقافي العربي، ط٢، المغرب، الدار البيضاء، ٢٠٠٦.

١٧- الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، دار الكتاب العربي، لبنان د.ت

١٨-الكعبي، ضياء، **الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط١، ٢٠٠٥م.

١٩- مارك، أنجلو، **التناصية**، ترجمة: محمد خير البقاعي، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م

٢٠- مفتاح، محمد، **تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)**، المركز الثقافي العربي، ط، المغرب، ٣الدار البيضاء

Sources and references

The Holy Quran

1/ Al-Ahmad, Nehla Faisal Muhammad (2002), Textual Interaction (Intertextuality: Theory and Method), Riyadh Book, Issue 104, Al-Yamamah Press Foundation

2/ Barthes, Roland, Horizons of Intertextuality, Concept and Perspective, Text Theory, Arabization and Presentation: Dr. Muhammad Khair Al-Bikai, 1st edition, Lebanon, Beirut, Jawadul Publishing, 2013 AD

3/ Al-Baqa'i, Muhammad Khair, Studies in Text and Intertextuality, 1st edition, Syria, Aleppo, Center for Cultural Development, 1998 AD.

4/ Abu Bakr, Asmaa (2005), The mechanisms of qualitative intertextuality in the poetry of modernity, Dar Al-Zaman, Al-Madinah Al-Munawwarah, 1st edition.

5/ Al-Harbi, Fayza, Storytelling in Contemporary Arabic Poetry, Riyadh, Riyadh Literary Club Publications, 2010 AD.

٦6/ Al-Hamoud Ali bin Muhammad (2011), Formation of Discourse in Alzheimer's Essays, Riyadh, 1st edition.

٧7/ Al-Razi Fakhr Al-Din (1985), The End of Briefness in the Study of Miracles, investigated by Bakri Sheikh Amin, Dar Al-Ilm for Millions, Beirut, 1st edition.

8/ Al-Razi, Al-Razi, Muhammad bin Abi Bakr bin Abdul Qadir Al-Razi, Mukhtar Al-Sahhah, Dictionary Department at the Library of Lebanon, 1986 edition.

9/ Al-Zubaidi, Muhammad Mortada Al-Husseini, The Bride's Crown from the Jewels of the Dictionary, edited by: Abdul Karim Al-Azbawi, for the Arab Heritage Basket, Ministry of Information, vol. 18, Kuwait: Kuwait Government Press, 1399 AH - 1979 AD.

10/ Al-Zoubi, Ahmed (1995) Intertextuality in theory and practice, Al-Katani Library, Irbid, Jordan, 1st edition.

11/ Al-Zawahra, Zahir Muhammad, Intertextuality in Contemporary Arabic Poetry: Religious Intertextuality as a Model, Master's Thesis, University of Jordan, Amman, College of Graduate Studies, 2011 AD.

12/ Al-Sobki, Bahaa Al-Din, (/2001) Bride of Weddings in explaining the summary of the key, investigated by Khalil Ibrahim Khalil, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, 1st edition.

13/ Al-Tayeb, Abdullah (2001), from the train window, Khartoum, New Life, 3rd edition

14/ Alqam, Sabiha Ahmed, The Interpenetration of Literary Genres in the Arabic Novel (The Dramatic Novel as a Model), The Arab Foundation for Studies, Publishing and Distribution, Lebanon, Beirut, 2006 AD.

15/ Ghanem, Sabiha Ahmed (2006), the overlapping of literary genres, the dramatic novel as a model, the Arab Institute for Studies and Publishing, Beirut, 1st edition.

16- Al-Ghadhami, Abdullah Muhammad, Anatomy of the Text, Arab Cultural Center, 2nd edition, Morocco, Casablanca, 2006.

17/ Al-Fayrouz Abadi, Al-Qamous Al-Muheet, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Lebanon, Dr. T

18/ Al-Kaabi, Diaa (2005) Cultural Patterns and Problems of Interpretation, The Arab Institute for Studies and Publishing, Beirut, 1st Edition.

19/Mark, Angelo, . Intertextuality, translated by: Muhammad Khair Al-Bikai, Egypt, Egyptian General Book Authority, 1998 AD

20/ Muftah, Muhammad, Analysis of Poetic Discourse (Intertextual Strategy), Arab Cultural Center, ed., Morocco, Casablanca 3, 1992.

الهوامش والإحالات :

١ . يُنظر من نافذة القطار، الطيب، عبد الله ، الخرطوم، نيو لايف، ط، (٢٠٠١)، المحتوى من ص٢٢- ٣٥

٢ . المصدر نفسه ص٢٢

٣ . يُنظر من نافذة القطار ص٢٧-٨٩

٤ . ، يُنظر من نافذة القطار٣٣،٣٤

٥ . من نافذة القطار ص ٣٤

٦ . ينظر من نافذة القطار ص٢٤-٢٥

٧ . من نافذة القطار ص٢٠-٢٢

٨ . كلية غردون هي المدرسة العليا التي أسسها الإنجليز تخليدا لذكرى غردون الذي قتل على أيدي أنصار الثورة المهدية ١٨٨٥م وقد أصبحت جامعة الخرطوم فيما بعد

٩ . ود ضيف الله كاتب ومؤرخ عاش في القرن الثامن عشر وكتب عن الأولياء والصالحين في كتابه الطبقات

١٠. من نافذة القطار ص١٤

١١ . ينظر القصة في الشعر العربي إلى أوائل القرن الثاني الهجري، علي النجدي ناصف، دار نهضة مصر القاهرة د.ت

١٢ . ينظر السرد الحكائي في الشعر العربي المعاصر، فايزة الحربي، الرياض، منشورات نادي الرياض الأدبي، ٢٠١٠م. ص٥ وما بعدها

١٣ . ينظر السرد العربي القديم (الأنساق الثقافية وإشكالات التأويل)، ضياء الكعبي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٥م ص١٣٦

١٤ . يُنظر تداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية (الرواية الدرامية نموذجا) د. صبيحة أحمد علقم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنا، بيروت، ٢٠٠٦م، ص١٧

١٥ . من نافذة القطار ص١٢

١٦ . نفسه ص٥٦

١٧ . يُنظر تشكيل الخطاب في أقصوصة ألزهايمر، أ. د. الحمود. علي بن محمد الحمود، الرياض، ط١، (٢٠١١) ، ص٢١

١٦. مختار الصحاح، الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، طبعة ١٩٨٦، ص ٢٧٦ .

١٧. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني ، ، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، س لسلة التراث العربي، وزارة الإعلام ،ج١٨، الكويت: مطبعة حكومة الكويت،١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ص ١٧٨ . مادة (نصص).

١٨ التناص في الشعر العربي المعاصر: التناص الديني نموذجا ، الزواهرة، ظاهر محمد، رسالة ماجستير، الجامعة الاردنية، عمَّان ، كلية الدراسات العليا ، ٢٠١١م، ص ٢٨ .

١٩ . التناصية، مارك، أنجيلو، ترجمة: محمد خير البقاعي، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م، ص٦٥، ٦٦ .

٢٠. آفاق التناصية المفهوم والمنظور نظرية النص، رولان بارت، ، تعريب وتقديم: د. محمد خير البقاعي،ط١، لبنان، بيروت، جداول للنشر،٢٠١٣م ص٥٢.

٢٣ .مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، ط، المغرب، ٣الدار البيضاء ١٩٩٢،ص ١٢١.

٢٤ – البقاعي، محمد خير، دراسات في النص والتناصية، سوريا، حلب، يمركز الإنماء الحضاري، ١٩٩٨م ص٣٨

٢٥ . آليات التناص النوعي في شعر الحداثة، د. أسماء أبوبكر أحمد، دار الزمان، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٦ه ٢٠٠٥م

٢٦ . ينظر التفاعل النصي(التناصية النظرية والمنهج)، د.نهلة فيصل محمد الأحمد ص٢٨٤

٢٧ . يُنظر تشكيل الخطاب في أقصوصة ألزهايمر، ص٣٠

٢٨ . ينظر من نافذة القطار ص٢٩

.٢٩ . المصدر نفسه ص٩

٣٠ . نفسه ص١٠

٣١ . ديوان البحتري ١١٥٥/٢

٣٢ . من نافذة القطار ص١٠

٣٣ . من نافذة القطار ص١٠٠

٣٤ .يُنظر تشكيل الخطاب في أقصوصة ألزهايمر ص٥٧

٣٥ . ينظر نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي ، تحقيق بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ص ٢٨٨

٣٦ . ينظر عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي، تحقيق خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ٤٢٦/٣

٣٧ . الفسيخ هو في أصله سمك يوضع في إناء مغلق وتضاف إليه بعض البهارات ويبقى مدة حتى يتعفن ويكون له طعم يستلذه من تعود عليه.

٣٨ . نافذة القطار ص٩٩

٣٩ . مملكة كوش هي إحدى الممالك العريقة في شمالي السودان بقيت فترة منذ القرن السابع قبل الميلاد وهي من أعرق الحضارات .

٤٠ . من نافذة القطار ص٨٤-٨٥

٤١ . الزيانة هي حلق شعر الرأس بالموسى وإزالته بالكلية.

٤٢ . من نافذة القطار ص٨٤

٤٣ . نفسه ٨٤-٨٥

٤٤ . نفسه ص٨٥

٤٥ . ينظر تشكيل الخطاب في أقصوصة الزهايمر ص٦٦

٤٦ . يُنظر التناص نظريا وتطبيقيا د. أحمد الزعبي، يُنظر التناص نظريا وتطبيقيا ، مكتبة الكتاني، إربد ، الأردن ط١، ١٩٩٥م ، ص٦٥

(٤٧) البقاعي، محمد خير، دراسات في النص والتناصية، ط١، لبنان، بيروت ، ١٩٩٨م، ص ٦٩.

(٤٨) الغذامي، عبد الله محمد، تشريح النص ، المركز الثقافي العربي، ط٢، المغرب، الدار البيضاء، ٢٠٠٦، ص ١١٥ ، ١١٦.

٤٩ . حَيّة عظيمة قوية، سامة شرسة، من الفصيلة الحثاثية، وتطلَق على الناشر المصـــري، والبخّاخ.

٥٠ . السحلية ضرب من العظاء وهي من أصناف الضباب حسنة اللون (شرحها في هامش الكتاب ص٤١

٥١ . من نافذة القطار ص٤١

٥٢ . الحيوان للجاحظ .٧١/٢

٥٣ . من نافذة القطار ص ٤٤

٥٤ . من نافذة القطار ص ٤٢

٥٥ . نفسه ص ٤٤

٥٦ . من نافذة القطار ص ٦٤

٥٧ . نفسه ص ٦٨-٦٩

٥٨ . نفسه ص٦٩

٥٩ . من نافذة القطار ص٦٩

٦٠ . نفسه ص١٧

٦١ . من نافذة القطار ص٢٤

٦٢ . من نافذة القطار ص٥٣

٦٣ . من نافذة القطار.ص٥٨

٦٤ . الكهف الآية آية ١٨

٦٥ . من نافذة القطار ص٥٨

٦٦ . نفسه ص.٥٩

٦٧ . يُنظر من نافذة القطار ص ٥٩

٦٨ . من نافذة القطار ص٢١

٦٩ . من نافذة القطار ص٥٠

٧٠ . نفسه ص٥١

٧١ . من نافذة القطار ص١٥